آ ــ التناقض بين الايديولوجية الصهيونية ومفهوم السلام. (العامل الايديولوجي) :

تعتبر الصهيونية نفسها ايديولوجية قومية تقوم على الزعم بان اليهود شعب واحد له ماضيه الواحد وله هدف عام واحد ومصير واحد على الرغم من تشتت شمله عبر القرون . ومنذ البدء قدمت الصهيونية نفسها على انها حل للمسألة اليهودية ، ودعت يهود العالم جميعا الى الهجرة الى (أرض المعاد) لكي يستأنفوا حياتهم القومية التي انقطعت بسبب الشتات diaspora . وقد صاحبت هذه الدعوة نزعة شوفينية اتصفت بالتمييز والاستعلاء وانكار حقوق الاخرين . وكانت نظرتهم الى العرب الفلسطينيين بوجه خاص أشد عنصرية من نظرة الاميركيين الى الهنود الحمر او الروديسيين الى الافريقيين . ولقد التقت آراء الزعماء الفكريين الصهيونيين حول مسألة التخلص من العرب ، ولكنهم تفاوتوا احيانا في انتقاء الوسيلة ، فعند تيودور هرتزل ان الابادة الجماعية هي الحل ، وعند زانغويل ان ترحيل عرب فلسطين عن ديارهم هو أكثر رقة من تكتيك زميله وايزمن الهادف « الى خنقهم ببطء to snow them down » .

ان النزعة الشوفينية والنزعة العسكرية العدوانية لا تنفصلان ، وقد كانتا لب الحركة النازية في ثلاثينات هذا القرن . وينسى الناس عادة ان السبق في هذه النزعة يرجع الى الفكر الصهيوني الذي سبق النازية في الزمن وفاقها في درجة الوضوح .

وتكشف كتابات تيودور هرتزل انه كان يفضل لو تقوم الدولة الصهيونية بقوة السلاح كما تكشف عن تمسك شديد بالعنف والقوة ، وتشير هذه الكتابات الى تصور مزدوج للطرفين الصهيوني والعربي في اواخر القرن التاسع عشر ، فالطرف الصهيوني سيعتمد على السلاح والعنف الجماعي المنظم وسيضم جيشا من « الرجال البائسين الذين هم أفضل الغزاة » . اما الطرف العربي فسيكون قطيعا من الوحوش علاجه الوحيد هو الابادة الجماعية : « فمثلا اذا وجدنا في موقف يتطلب منا تطهير بلد من الوحوش الضارية ، طبعا لن نحمل القوس والرمح ونذهب فرادى في أثر الدببة كما كان الاسلوب في القرن الخامس في اوروبة ، بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ، ونجمع الحيوانات ونرمي وسطها قنبلة شديدة الانفجار »(٨) .

وتنبع خطورة هذا الكلام من أن هرتزل كان يعنيه حرفيا ، وفيما بعد أثبت الصهيونيون أنهم حرفيون في فهم أقوال مؤسس الحركة الصهيونية ، ولم تكن مذابح دير ياسين وقبية ونحالين وغيرها سوى حفلات صيد كبيرة سيقت اليها القطعان العربية على طريقة هرتزل . وقد تحدر التعلق المرضي بالعنف من هرتزل الى قادة الفكر الصهيوني سواء منهم من وصف بالاعتدال او بالتطرف وقد ذهب فلاديمير جابوتنسكي الى حد تقديس السيف جنبا الى جنب مع التوراة وكان يعنيه تماما ان يغرس هذه الافكار في نفوس الطلبة والشبيبة الناشئة ، وقد جاء في كلمة له وجهها الى الطلبة اليهود في فيينه: « عليكم ان تحتفظوا بالسيف لان الاقتتال بالسيف ليس ابتكارا المانيا بل هو ملك لاجدادنا الاوائل . ان التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء »(٩) .

اما مناحيم بيغن ، زعيم منظمة (ارغون) التي تحولت الى حزب (حيروت) الحالي فهو مشهور بعبارته : « أنا احارب اذا انا موجود » وهو يذكر في كتابه (الثورة) صراحة ان الممارسات الارهابية ضد المدنيين العرب اشيعت « رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام » .

ان مثل هذه الايديولوجية القائمة على الشوفينية والهوس العدواني هي بطبيعة الحال مناهضة للسلام . ولكن الخداع الايديولوجي الصهيوني كان يقدم دائما للجماهير اليهودية المضطهدة اللون الفكري الذي يمكن ان يستهويها وذلك بصرف النظر عن